الكورونا تضرب من جديد

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 7 فبراير 2021

بقلم: الدكتور زكريا خنجي

قلنا في العديد من المقالات السابقة إن الكائنات الدقيقة والفيروسات ليس لها قوانين واضحة حتى الآن في طرق انتشارها أو سلوكياتها، فلا يوجد في علم الكائنات الدقيقة واحد زائد واحد يساوي اثنين، فربما تكون النتيجة اثنين أو حتى عشرة وربما مائة، فلا يمكن التكهن بسلوك كائن دقيق مثل البكتيريا أو الفطريات، ومن جانب آخر فإننا نعلم اليوم أن الفيروسات أصغر من أن يطلق عليها اسم كائنات دقيقة، والسبب بسيط لأنها لا تعتبر من الكائنات الحية وإنما يطلق عليها عادة (مخلوقات)، وهذا سبب آخر وأكبر من عدم قدرتنا على التكهن بسلوكها وتحوراتها السريعة جداً، فبمجرد أن تتضاعف مرات عديدة في خلايا الكائن الحي فإنها بكل بساطة تتغير الطبقة البروتينية التي تغلفها، عندئذ يتغير الفيروس، هكذا ببساطة، لذلك فإننا نسمع عن أنماط كثيرة من فيروسات الإنفلونزا والزكام وما إلى ذلك.

وجانب آخر، عندما تحدثنا ونشرنا مجموعة من المقالات عن إدارة الكوارث والأوبئة قلنا إنه في علم إدارة الكوارث والأوبئة يمكن تقسيم هذه النوعية

من الإدارة إلى 5 مستويات؛ وهي: مرحلة الميلاد، ومرحلة النمو والتوسع، ومرحلة النضج، ومرحلة الانحسار، ومرحلة الاختفاء.

وقلنا إن الكارثة أو الوباء عندما يكون في مرحلة الانحسار والتقلص يمكن أن تُعد في أخطر مرحلة لها، وذلك بسبب أن الكارثة عندما تكون في هذه المرحلة عادة ما تكون مثل موج البحر، تأتي موجة فنأخذ كل الاحتياطات اللازمة للوقاية من الوباء، وسرعان ما تختفي هذه الموجة ويختفي الوباء فنعتقد عندئذ أن الوباء قد ذهب ولن يعود، لذلك نفرح ونصفق، ونلغي من حياتنا كل الاحترازات التي اتخذناها سابقًا، وتعود حياتنا إلى ما كانت عليه، ولكن ما هي إلا برهة من الزمن – وهذه البرهة تمتد وتقصر بحسب نوع الكائن المسبب للوباء وبعض الظروف الأخرى – حتى يعود الوباء مرة أخرى في موجة ثانية ربما تكون أشد من الموجة الأولى وأكثر خطورة، فتجرف من أمامها العديد من الأرواح والأجسام والأحبة.

حينئذ ننتبه الى أن الوباء لم ينته ولم يختف وإنما هي موجة ذهبت وموجة تعود، وربما تختفي الموجة الثانية، لتتفاجأ بعد فترة من الزمن بالموجة الثالثة وربما الرابعة، وهكذا حتى ينحسر الوباء نوعًا ما، وندخل مرحلة الاختفاء، وإن كان العامل الممرض ما زال موجوداً ليتحين الفرصة المناسبة ليضرب مرة أخرى.

وهذا ما حدث ببساطة في جائحة كورونا، هذه الجائحة التي نعيشها هذه الفترة من الزمن.

أوشكت الموجة الأولى على الانتهاء والاختفاء، فاعتقدنا أن الموضوع قد انتهى، وقمنا بكل بساطة بالإلغاء معظم الإجراءات الاحترازية من حياتنا وخاصة فيما يتعلق بالتجمع الأسري وبعض العلاقات الاجتماعية، من غير أن نعود أو نستشير الجهات المعنية، وإن كنا لا نريد أن نلقي اللوم على الناس على ما حدث وذلك بسبب أن الناس في هذا الجيل لم تعش أجواء هذا التباعد وهذا النوع من الحظر لذلك أصابهم الملل والفتور وبدأ الترهل يسري في حياتهم، وشعروا بأن الجهات المعنية تبالغ في الإجراءات وموضوع الحظر وما إلى ذلك، فبدأ البشر يتسربون كمحاولة لكسر طوق الحظر الصحي مهما كانت النتائج، وهنا نلقي اللوم على الناس وذلك لتسرعهم في العودة إلى حياتهم السابقة قبل الحظر الصحي، وكأن الجهات الصحية فعلاً تريد أن تضرب عليهم نوعًا ما الحظر الذي لا داعي له، إلا أن الحقيقة تقول عكس ذلك وهذا ما غدا واضحًا بعدما جاءت الموجة الثانية، فأصيب أعداد كبيرة من البشر بهذا الداء العضال.

ولقد أسهم في هذا النوع من الترهل قلة عدد الوفيات خلال هذه المرحلة، وذلك بسبب أن الأطباء والمعالجون أصبحوا على علم ودراية تامة بالفيروس وماهيته وكيفية التعامل معه، فلقد وجدنا أنه في بداية مراحل الجائحة أن عدد الوفيات كان كبيرًا، وكان يصعب على الأطباء التعامل مع الفيروس وذلك بسبب أن الفيروس من السلالات الجديدة، وهذا يعني أنه لا أحد كان يعرف ما هذا الفيروس وكيفية التعامل معه في تلك الفترة

الزمنية، إلا أنه مع استمرار انتشار المرض وتحول الكرة الأرضية إلى ثكنة طبية وغرفة معالجة أصبح هناك حاجة ماسة إلى تبادل المعلومات والخبرات، فأصبح ذلك واقعًا، وهذا الإنجاز والتكاتف العالمي أدى بصورة كبيرة إلى التحكم في الفيروس ومعالجة المرضى، وبالتالي كشف الفيروس عن نفسه وعن ماهيته ومكوناته، فتم التعامل معه بصورة مهنية واحترافية وعلمية تامة.

هذه القدرة التي خولت الأطباء والعلماء لمعرفة الفيروس هي التي ساهمت بصورة كبيرة في اكتشاف اللقاح في الفترة القياسية، وربما اكتشاف اللقاح أدى أيضًا إلى الاعتقاد أن الإنسان قد استطاع التحكم والسيطرة على الفيروس، وبالتالي لا مانع من الخروج وممارسة الحياة من الجديد بعد حظر دام حوالي سنة كاملة.

كل هذه الأسباب وربما بعض الأسباب الأخرى أدت إلى العودة – كما يقال – للمربع الأول، فتضاعفت الإصابات ورجع الحظر الصحي مرة أخرى يضيق الخناق على الناس، وكل ذلك بسبب الإنسان نفسه بالدرجة الأولى ومن ثم الظروف الأخرى، لذلك ما المطلوب أن نفعله وتفعله الجهات ذات العلاقة الآن ؟

أولاً: ما المطلوب أن يفعله الناس ؟

الالتزام بالحظر الصحي؛ وهذا ليس خياراً وإنما هو واجب، فلا يمكن الانتهاء من الفيروس والجائحة إن لم نفرض على أنفسنا هذا الحظر الصحي، فالتهاون يعني التهاون بالحياة البشرية، فإن لم تكن تخاف على نفسك وتعتقد أنك شجاع وقوي وأنك منيع أمام الفيروس فعلى الأقل أنظر للناس من حولك، أنظر إلى والدك ووالدتك، وأطفالك وربما أحفادك، فلا تكون أنانيًا فتعتقد أنك تعيش لوحدك.

الالتزام بما توجهه الجهات ذات العلاقة بإدارة الجائحة؛ كلبس الكمامة في الأماكن العامة واستخدام المطهرات والالتزام بالتباعد الاجتماعي وما إلى ذلك، فهذه الجهات طبية وعلمية ولقد أثبتت كفاءتها أثناء الموجة الأولى من الجائحة، وليس المقصود هنا الاستسلام بقدر ما هو الالتزام، فهذا أدب وأخلاق رفيعة من المواطن والمقيم، فنحن معهم في سفينة واحدة، فلا يمكن إحداث شرخ في السفينة من جانب بحجة إن ذلك لن يؤثر على السفينة كلها، إذ أن هذا الشرخ سوف يؤدي إلى غرق السفينة كلها، وهذا هو معنى الحديث النبوي الشريف (حديث السفينة).

الصبر؛ فمن استطاع أن يصبر سنة كاملة لا يضيره أن يصبر عدة أسابيع أو عدة أشهر، فلنعد التفكير في حياتنا السابقة، فقد كنا نجلس في المنزل لساعات، ولم نكن نسافر إلا بعد عدة سنوات مرة، وكنا نهمل الكثير من الأمور التي أصبحت فجأة ذات ضرورة قصوى، لماذا وكيف ؟ لماذا أصبحنا

نشتاق للسفر فجأة ؟ لماذا أصبحنا نشتاق للتجمع العائلي فجأة ؟ لماذا أصبحت مغادرة المنزل ضرورة قصوى ؟ ربما كل هذه الأمور لم تكن ذات أولويات عندنا في العام قبل الماضي، فلماذا لا نعيد التفكير في حياتنا ونصبر على ما أصبحنا عليه حتى تزول هذه الغمة بقدرة اللّه سبحانه وتعالى، ثم بفضل الجهود العلمية والطبية الوطنية والعالمية.

ثانيًا: ما المطلوب من الجهات التنفيذية ؟

متابعة الحظر الصحي؛ وهذا أمر ساري واستمراريته مطلوبة، فمن المفروض ألا تتهاون الجهات التنفيذية في هذا الأمر، وخاصة بالنسبة للجاليات التي لا تتحدث اللغة العربية، فليس من المعقول أن تفرض الحظر الصحي على المواطن وفي نفس الوقت عندما تذهب إلى سوق المنامة أو المحرق تجد كل تلك الحشود تروح وتعود من غير رقيب ولا حسيب، فلا تباعد اجتماعي ولا حتى جسدي ولا أي شيء، وإنما كما شاهدنا هو تقارب بل وربما التصاق، فالكل واقف مع الكل والكل يتحدث مع الكل، فهم مجرد يضعون الكمامات على أفواههم وليس حتى أنوفهم، وييصقون على الأرض من غير حسيب أو رقيب، فإن كنتم غير مصدقين فالمنطقة العشوائية في عراد خير شاهد على ذلك.

إيجاد برامج ترفيهية في التلفزيون؛ وذلك مدعاة حتى يجلس الناس في بيوتهم، فالناس قد لجأت إلى القنوات الأخرى لمحاولة كسر طوق الملل

والجلوس في المنزل، والتلفزيون المحلي لا يعرض إلا البرامج التوعوية المعتادة أو البرامج الحوارية المكررة، فما يعرض في الليل يعاد في الصباح والظهر والمغرب، وهكذا بالعكس، إذ أنها أصبحت مملة من تكرار نوعيتها، فيذهب محمد ويأتي عبد اللّه، يتغير المذيع والضيف ويبقى الموضوع هو هو لا يتغير. الناس يحتاجون إلى ما يُجلسهم في المنزل فإن لم يساهم التلفزيون الوطني في ذلك فما الذي يجلسهم غير القنوات الأخرى التي فيها ما فيها.

مراقبة الأسواق والأسعار؛ فمع ترهل الأوضاع وبُعد المساحات الزمنية وغياب الرقابة فإن الكثير من التجار وفي غياب الجهات الرقابية يمكن أن يستغفلو المستهلك وييبعون بالطريقة التي يجدونها مناسبة، وبالأسعار التي يريدون، وهذا يمكن أن يسبب ضيقًا للناس ومشاكل مادية، فماذا يمكن أن يفعل المواطن عندما تتراكم عليه ظروف الحظر الصحي وضائقة ارتفاع الأسعار ؟

هذا الحديث هو السائد اليوم بين الناس، وإن شاء اللّه نحن قادرون على أن نوقف زحف كورونا في الموجة الثانية كما تمكنا من وقفها في موجتها الأولى